# منهجيات البحث وأساليبه

الفصل الأول

جون بول جونز الثالث وباسيل غوميز

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

## لماذا مناهج البحث في الجغرافيا؟

### مقدمة

خلال معظم القرن العشرين ، ومع امتداد اهتمامات الجغرافيين إلى الفضاء المادي والبشري المعاصر وترتيباتهم السابقة بقدر ما أمكن توثيقها ، أصبحت الأساليب التي استخدموها لشرح ونمذجة والتنبؤ بمختلف جوانب العالمين البشري والمادي أكثر كميةً تدريجيًا . لكن التقنيات والمنظورات النظرية الجديدة التي ظهرت في العقود الأخيرة من القرن العشرين ساعدت في إعادة تعريف أهداف بحث الجغرافيين وتوسيع نطاق الأساليب المستخدمة لجمع البيانات وتحليلها وتقييم البحث . كما أثارت قلقًا بشأن معايير وقيم الفعل والسلوك البشري (الأخلاق) ؛ وكيف نضع أنفسنا وكيف يضعنا الآخرون (الوضعية) ؛ والعلاقة التي تربطنا ، كباحثين ، بالعالم (الانعكاسية) .

في الجغرافيا الطبيعية ، ازداد توافر البيانات بشكل كبير بعد إطلاق أقمار رصد الأرض في سبعينيات القرن الماضي . وفي الوقت نفسه تقريبًا ، بدأ بعض الجغرافيين البشريين البحث عن بدائل لاستخدام الأساليب التحليلية المكانية (أي الكمية والموضوعية والعلمية) لشرح وتمثيل وفهم الأفعال البشرية والمظاهر الطبيعية . ومن بين المناهج الراسخة التي طُوّرت منذ سبعينيات القرن الماضي الجغرافيا الإنسانية والماركسية والنسوية وما بعد البنيوية . ومع ذلك، ما تزال أساليب البحث لدى العديد من الطلاب قائمة على القواعد التقليدية للتحليل المكاني والتقنيات الكمية ، ونشعر أن تدريس الأساليب غالبًا ما يكون مُهيكلًا وفقًا للتقسيمات السائدة بين الجغرافيا البشرية والجغرافيا الطبيعية .

يُعدّ هذا الكتاب مقدمة لأساليب البحث في الجغرافيا . أسلوب البحث هو طريقة لجمع البيانات وتحليلها . يبدو هذا الأمر "أساسيًا للغاية" ، ولكن لا توجد طريقة مناسبة للانخراط في البحث - أو في الأساليب - دون معالجة بعض الجوانب الأخرى . أسئلة نظرية أساسية تواجه الجغرافيين البشريين والفيزيائيين على حد سواء . تتعلق هذه الأسئلة "الفلسفية" بطبيعة الواقع (علم الوجود) وكيفية فهمنا له (نظرية المعرفة) . تميل هذه الاهتمامات الفلسفية إلى أن تُصنف في "نماذج" - وهي هياكل نظرية يتبعها الباحثون كجزء من ممارستهم العلمية اليومية . تتداخل ضمن الإحداثيات النظرية للنماذج مجموعة من القرارات "المتوسطة" التي يتعين على المرء اتخاذها بشأن المنهجية : اختيار موضوعات البحث ، والأسئلة الموجهة إليها ، وتصميم الدراسة ، والآثار المترتبة على أهدافنا لإجراء البحث . وأخيرًا ، على المستوى الأكثر واقعية وعملية ، نجد مناهج البحث : الطرق التي نتبعها في جمع البيانات وتحليلها ، والاستنتاجات التي نستخلصها من هذه العمليات .

يهدف كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" إلى توفير أساسٍ لطلاب الجغرافيا ، بدءًا من الصورة العامة ، مرورًا بالمنهجية ، وصولًا إلى تقديم عددٍ من الأساليب الشائعة الاستخدام في جمع البيانات وتحليلها . لذا ، يُغطي كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" النظرية ، مع توفير أساسٍ متينٍ للانخراط في أنشطة بحثية ملموسة . ويمكن عرض الإطار الكامل ، بشكلٍ تخطيطي ، على النحو الاتي :

نظرية المعرفة والوجود

↓↑

النماذج

↓↑

منهجية البحث

↓↑

مناهج البحث

إنّ عمل الأسهم في كلا الاتجاهين يُشير إلى أن النظرية بحاجة إلى أن تكون مُستجيبة - أي قابلةً للتعديل والتحديث باستمرار - في ضوء المفاجآت والتناقضات التي تظهر في أنشطة البحث الملموسة .

يُقدّم الفصل الثاني لمحةً عامة عن القضايا الفلسفية الأساسية المُتعلقة بالوجود ونظرية المعرفة . يصف الكتاب أيضًا الخطوط العريضة لأربعة نماذج مهمة - أو أطر نظرية - سائدة في الجغرافيا اليوم (العلم المكاني ، والإنسانية ، والواقعية النقدية ، وما بعد البنيوية) . قبل الانتقال إلى هذا الفصل ، قد يكون من المفيد التعمق في مسائل منهجية البحث وتمييزها عن مناهج البحث . هذان المجالان هما اللذان يشكلان معظم محتوى الكتاب.

## منهجية البحث ومناهجه

تقع مناهج البحث دائمًا ضمن نظريات أوسع نطاقًا . تتضمن العديد من الجوانب الأكثر إبداعًا في عملية البحث أسئلةً تترجم تلك النظريات إلى أهداف وأسئلة ومهام بحثية أكثر دقة . ولتحقيق هذه الغايات ، قد يكون من المفيد صياغة منهجية بحث من خلال سلسلة من الأسئلة ، من أهمها الاتي :

- ما هي الأشياء أو الأحداث التي يجب عليّ اختيارها للتحليل؟
- كيف أُنظّر لمجال عملها؟
- كيف أُنظّر لعلاقاتها بالأشياء والأحداث الأخرى؟
- ما هي أسئلة البحث المناسبة لشرحها أو فهمها؟
- كيف أجمع البيانات للإجابة عن هذه الأسئلة؟
- ما هي الإجراءات التي يجب استخدامها لتحليل تلك البيانات؟
- ما هي الضمانات التي يجب أن أعتمد عليها لضمان صحة وموثوقية روايتي؟
- ما هي أسس تقييم الروايات المتنافسة؟
- كيف تتأثر نتائجي بـ "المبادئ النظرية المسبقة" التي استقيتها من البحث؟
- ما هو غرض البحث (مثلًا ، إنتاج المعرفة العلمية ، إنقاذ الأرض ، تغيير المجتمع ، أو أي شيء آخر)؟
- ما هي الضمانات الأخلاقية التي تم اتباعها أو التي تحتاج إلى معالجة؟

بعد طرح هذه الأسئلة وغيرها حول العالم ونشاط البحث المقصود ، قد يبرز عدد من الروابط الواضحة مع مناهج بحث محددة ، ليس أقلها أن بعض مناهج البحث تميل إلى الارتباط الوثيق بموضوعات

تحليل محددة (على سبيل المثال ، المناهج المختلفة اللازمة لتحليل المظاهر الطبيعية وكتابة الرحلات) . ومع ذلك ، فإن بعض المناهج أكثر فائدة من غيرها (على سبيل المثال ، يمكن للعلماء والإنسانيين والواقعيين النقديين وما بعد البنيويين إجراء مقابلات) ، وتدعم بعض المناهج مناهج متعددة (على سبيل المثال ، المناهج المختلفة المستخدمة لوصف وتحليل المظاهر الطبيعية) . يغطي كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" مجموعة واسعة من المواضيع في جمع البيانات وتحليلها ضمن مجال الجغرافيا.

## لماذا مناهج البحث في الجغرافيا؟

لقد طورنا فكرة هذا الكتاب بعد أن قمنا بتدريس العديد من الدورات في مجالاتنا الأساسية في الجغرافيا البشرية والطبيعية ، على التوالي . شعرنا أن ما كان ينقص هو كتاب دراسي تمهيدي يتناول القضايا النظرية ، ولكنه يغطي أيضًا الجوانب الملموسة للمنهجيات ، بالإضافة إلى الأساليب والتقنيات المحددة التي يستخدمها الجغرافيون لإجراء البحوث . صُمم كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" في المقام الأول لطلاب السنة الثانية أو الثالثة الجامعيين الذين يشرعون في مسار دراسي أكثر تركيزًا في الجغرافيا البشرية أو الطبيعية ، أو في العلاقات بين الإنسان والبيئة ، أو في التقنيات الجغرافية . معظم طلاب السنة الثانية والثالثة لم يدرسوا بعد العديد من المقررات الدراسية المهمة ، ونعتقد أن دراسة كتاب كهذا ستساعدهم على تحسين قدرتهم على إجراء مشاريع بحثية مماثلة لتلك التي يُتوقع منهم القيام بها في أطروحة التخرج أو أطروحة البكالوريوس ، وتحسين فهمهم للأوراق البحثية التي قد يواجهونها في مقررات دراسية حول ، على سبيل المثال ، جغرافية السكان والاقتصادية والحضر، أو في علم الجيومورفولوجيا وعلم المناخ والجغرافيا الحيوية ، على سبيل المثال لا الحصر .

قد يكون بعض الطلاب قد درسوا بالفعل مقررًا أو مقررين تقنيين ، أو يعتزمون التخصص في نظم المعلومات الجغرافية ، أو الاستشعار عن بُعد ، أو الإحصاء المكاني ، ولكن حتى هؤلاء ربما لم يطلعوا على اتساع الأساليب والتقنيات التي يستخدمها الجغرافيون ، أو تلك المعروضة في هذا الكتاب . يهدف كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" إلى مساعدة الطلاب في مسيرتهم نحو إكمال دراستهم الجامعية في الجغرافيا . وتتمثل أهدافه الرئيسية في مساعدتهم على فهم أبحاث الآخرين والبدء في تقييمها ، ومساعدتهم على : تطوير وتنفيذ مشاريعهم البحثية عالية الجودة . إذا وجد الطلاب أن البحث يُثيرهم ، فربما يسعون إلى الحصول على تدريب أكثر تقدمًا على مستوى الماجستير أو الدكتوراه في الجغرافيا . قد تكون بعض فصول هذا المجلد مفيدة للطلاب في تلك المستويات ، وخاصةً أولئك الذين بدأوا للتو في عالم البحث ، ولكن هدفنا، في المقام الأول ، هو مساعدة الطلاب الجامعيين في هذا التخصص.

الجغرافيا مجال واسع النطاق للغاية ؛ ويواجه معظم الجغرافيين صعوبة في مواكبة مجال بحثهم الخاص ، ناهيك عن مواكبة التطورات في مجالات بعيدة عن مجال اهتمامهم . وبالتالي، يكاد يكون من المستحيل على مؤلف واحد أن يكتب بمستوى العمق والاتساع المُمثل في هذا الكتاب . تتطلب مثل هذه الحالات مجلدًا مُحررًا . هناك العديد من النصوص الحديثة والمتميزة والمتنافسة التي تتقارب حول موضوع مناهج البحث في الجغرافيا ، ولكن هناك عدة أمور تميز هذا الكتاب عن تلك النصوص .

**أولاً**، ألف كل فصل باحثون بارعون ، وكثير منهم رواد في مجالهم .

**ثانياً**، بينما يقدم كتاب مناهج البحث في الجغرافيا تفاصيل متعمقة في مجالات معينة ، فإنه يتضمن أيضاً العديد من الفصول المتقاطعة المهمة - بما في ذلك تلك المتعلقة بمراقبة عالمنا (الفصل 3)، والقياس والتفسير (الفصل 4)، والقرارات التشغيلية (الفصل 5) - والتي شارك في تأليفها جغرافيون من خلفيات نظرية

وموضوعية مختلفة . والهدف من هذه الفصول التأسيسية هو تجاوز بعض الانقسامات التي ظهرت في مجال الجغرافيا . فقد نشأت بعض الانقسامات حول النظرية ، أي حول كيفية قيام الجغرافيين بتنظير كيفية عمل الموضوع ؛ بعضها يتعلق بالمناهج ، على سبيل المثال ، ما إذا كان ينبغي على الجغرافيين استخدام بيانات نوعية أم كمية ؛ وأحيانًا يُرسم خط فاصل بين الجغرافيا البشرية والجغرافيا الطبيعية.

قد تكون هذه التقسيمات حتمية في تخصص متنوع كالجغرافيا ، لكن هذا لا يعني عدم وجود قواسم مشتركة ، أو أن الجغرافيين لا يستطيعون الحوار حول تلك التقسيمات . إن كون هذا الكتاب محررًا مشتركًا من قِبل جغرافي طبيعي (BG) وجغرافي بشري (JPJ) دليل على رغبتنا في تجاوز الانقسامات لمعرفة ما يكمن على الجانب الآخر، ومحاولة تحديد كيفية التفاوض عليها أو تجسيرها . إن حقيقة أنه من غير المرجح أن يحاول أي جغرافي كتابة مجلد يتضمن هذا الكم الهائل من المواد المستمدة من الجغرافيا البشرية والطبيعية والتخصصات ذات الصلة الوثيقة ، بالإضافة إلى هذا التنوع في النظريات والمناهج ، ينبغي أن توحي للطلاب بأن أستاذ مادة "مناهج البحث" الخاصة بهم سيكون لديه بلا شك خلفية أوسع في بعض الفصول مقارنةً بفصول أخرى .

وهذا يعني أن على الأفراد أن يتحملوا مسؤولياتهم ، إن جاز التعبير، وأن يتحملوا مسؤولية تعليمهم كجغرافيين . مع وضع ذلك في الحسبان ، يتضمن كل فصل في كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" أقسامًا تحتوي على "موارد إضافية" و"تمارين عملية" . تُقدم هذه الأقسام لمساعدة الطلاب على التعمق في المجالات التي تهمهم أكثر، وتزويد المعلمين الذين يواجهون محتوى غير مألوف ببعض التوجيهات والأفكار حول كيفية تطوير مواضيع معينة .

ينقسم كتاب "مناهج البحث في الجغرافيا" إلى أربعة أجزاء . يتألف الجزء الأول من خمسة فصول تتناول قضايا شاملة تتعلق بالنظرية ومنهجية البحث ، بما في ذلك تصميم البحث . في الجزء الثاني ، ينتقل التركيز إلى الأساليب المستخدمة لجمع أنواع محددة من المعلومات ، على سبيل المثال ، حول المظاهر الطبيعية والثقافية . أما الجزء الثالث ، فيتناول قضايا كيفية تمثيل الجغرافيين وتحليلهم لأنواع مختلفة من البيانات . أما الجزء الأخير من الكتاب ، فيتناول بما يتعلق الأمر بالتزامات الباحث الأخلاقية والدور المهم لنشر أعماله للآخرين.

## الخلاصة

يجب أن يكون تعلم البحث العلمي تجربة مجزية تُمكّن الطلاب من متابعة اهتماماتهم الخاصة ، ومعرفة المزيد عن الموضوع المختار ، والأهم من ذلك ، دراسته من وجهات نظر مختلفة . أفضل سبب للبحث المتعمق في موضوع ما هو أن تجده محفزًا ومهمًا . ولكن يجب أيضًا تشجيع الطلاب على التعامل مع انتقائية تخصصهم المختار بعقل متفتح وروح جامعة . لقد انجذب العديد من الجغرافيين البارزين إلى هذا المجال تحديدًا بسبب نطاقه الواسع ، وبعض المواضيع التي تُعد الآن سائدة لم تكن تُعد، حتى قبل جيل واحد ، جزءًا من هذا التخصص . لذلك نشجع الطلاب على إطلاق العنان لخيالهم عند اختيارهم لموضوعات التحليل وطرق دراستها . وأخيرًا، في حين أن جميع الأبحاث مقيدة بمعطيات أساسية مثل مقدار الوقت المتاح أو وجود المعدات أو المرافق الداعمة أو التمويل ، فإن فضولك بشأن الأسئلة والتزامك بإيجاد الإجابات هو الأهم في التأثير على نجاحك.